الأستاذة: كعبش ريمة

المقياس: مقاربات نقدية معاصرة

السنة: الثانية ليسانس

التخصص: دراسات أدبية

بتاريخ:08 -04-2021

التطبيق رقم:8 الموضوعاتية عند جورج بولي و جان بيار ريشار

تمهيد

يتوزع النقد الجامعي- الفرنسي- الاهتمام بالإرث اللانسوني، من جهة، وما يطلق عليه النقد الجديد، من جهة ثانية. إذ يكمن الفاصل الأساسي بين التيارين في توجه الأول نحو الكشف عن حقيقة النص من خارجه، أي النظر إلى العمل الأدبي من خلال صاحبه، في ارتباطه بالعلوم الإنسانية المساعدة، بينما يتوجه الثاني إلى اختراق معنى العمل ذاته والانطلاق منه قبل الالتفات إلى صاحبه، ويندرج في هذا التيار الثاني : سارتر(Sartre) ، وج.بولي(G.Poulet)، وبلانشو(Blanchot) ، وباشلار(G.Bachlard)، وبارث(R.barthes) ، وستاروبسكي (Starobinsky)، وروسي(Rousset) ، وبيكون(Picon)، وج.بلاين(G.Blin) ، و ج.ب. ريشار.(J.P.Richard)

ولا يعني أن الأسماء السابقة، تدخل في إطار واحد، خاصة وأنها تتوزع إلى إيديولوجيات : وجودية، وماركسية، وفينومينولوجية وغيرها. وهاته الأسماء تكشف عن استعارتها لأشكال وطرائق التفكير في العلم، إذ نجد ج. بولي وستاروبسكي، وج. ب. ريشار يبحثون عن فضاءات متفوقة للقيمة الدلالية في بعض البنيات من خلال الموضوعاتية التي توجد في العمل المدروس.

فالأول يصب كامل اهتمامه على ما وراء الأعمال الأدبية مسائلا فلسفتها، من خلال عنصري الزمان والفضاء، ويتقصى الثاني المعنى الضمني والبسيط والبنية اللغوية التي تقابل تكوين الفكرة في لا وعي العمل المنجز. أما الثالث فيجمع بين العديد من النصوص بهدف تحديد دلالة المنظور في الأعمال الأدبية لكتاب مختلفين.

1- الموضوعاتية عند جورج بولي:

إن نقد جورج بولي يحلل الموضوعاتية الأدبية تحت رمز الإلمام بالزمن أو بالفضاء عند الكاتب، بينما يدرس نقاد غيره، وبكثرة، علاقة الشاعر بالعالم وبالكائن عبر البنية الموضوعاتية المعقدة لعالمه.

يعترف جورج بولي أن معرفته بباشلار تعود إلى سنتي 1933 و1934، من خلال كتابات هذا الأخير عن الزمن، ولم يخف إعجابه بإلمامه باللحظة وجدلية الاستمرار، ومفهومه عن الزمن المضاد لبرجسون (Bergson).

ويدين كتاب ج. بولي بالكثير إلى باشلار مع أنه لا يستلهم فكره، إذ لم يقبل عليه إلا بعد الحرب العالمية الثانية، تحت تأثير ج.ب.ريشار، وبقي باشلار ثانويا بالنسبة له ولمدة طويلة، بسبب علاقة فكره بمفهوم اللاوعي. وهذا ما جعله لا يلتزم بالفكر النقدي الباشلاري إلا متأخرا، حين خاض هذا الأخير في شاعرية الفضاء والأحلام.

والحق أن ج. بولي منشغل أكثر بنوع من الميتافيزيقا، لأنه يسائل الأعمال الأدبية– كفيلسوف– من وجهة الفضاء والزمن، في بحثه عن مواقف الكتاب من هذين النظامين، وهو ما يطرحه بالضبط في كتبه عن :

1– (دراسة حول الزمان الإنساني) (1950).

2– (البعد الداخلي) (1952).

3– (تحولات الدائرة) (1961).

4– (الفضاء البروستي) (1963).

وهو يبحث عن المواقف الأولية لكل كاتب، حسب طريقته، إذ ينزع المبدع دون وعي منه إلى تنظيم العمل التخيلي.

لقد كان ج. بولي في الكثير من كتاباته يحلل مختلف مظاهر الوعي الأدبي للاستمرارية أو اللحظة. ويتعلق الأمر لديه بوصف مختلف مغامرات الوعي بحثا عن كيفية إدراكه عبر فضاء– زمنية أولية، وانطلاقا من قراءة متأنية وديناميةتظهر من خلال تحليلاتها للوعي الأدبي بالزمن والفضاء مدى الأصالة في بحث ميثية (موضوعية) الأدب.

ويتبين من خلال مداخلة ج. بولي، في ندوة (الاتجاهات الحالية للنقد)(1966)، والتي جاءت تحت عنوان (النقد الكشفي)، كيف يخلص إلى أن م. بروست هو مؤسس النقد الموضوعاتي، لأن ما يهم ج. بولي ليس هو الصورة المعزولة، بل مجموعة الموضوعات والبنى

التي يجمعها الوعي الذاتي، ويضمن لها هوية معينة كيفما كان توزعها والاختلافات التي تعصف بها.

2- النقد الموضوعاتي عند بيار ريشار:

خلال الستينيات (1955/56)، وبموازاة أعمال بلانشو وموورون، قام ج. ب. ريشار وج. بولي بوضع أسس شكل آخر من التحليل النصي يقوم على العمل ذاته مكونين بذلك قنوات دالة وخاصة بخطابات بروست ومالارمي والرومانسيين.

وإذا كان بولي قد انخرط في عملية طموحة. مجمعا الأعمال ذات الخط العام والرمزي في الدائرة، فإن ج. ب. ريشار حاول بدقة القيام بجرد للموضوعاتية الصغرى المجازية. وقد ظهرت أعمال الناقدين في فترة طبعت بالبحث عن أصالة، أصبحت فيما بعد عادية، إلا أنها تبتعد عن العلاقة المقدسة، بين عمل الكاتب وحياته، تاركين جانبا إشكاليات (الرجل/ حياته/ أعماله) لانكباب على الدراسة الداخلية للكتابة بواسطة تحليل نصي ضد-لانسوني.

وكان على النقد الموضوعاتي، لكي يعلن عن قطيعته هذه، أن يشدد على تبنيه للتحليل النفسي للخيال، من خلال طموح باشلاري يقوم على الكشف عن الحمولة الميثية للمجاز والتصريح الوجودي الذي يسكن الصورة في علاقته بالأحلام المثالية التي تصنع ضوابطها البدائية والخيالية للأشياء، إذ يصبح الخيال معرفة غامضة بالشيء، لذلك كانت دراسة باشلار لعناصر (الأرض/ الماء/ النار/ الهواء) تستهدف تحديد البنية.

فلا غرابة، إذن، أن يتساءل ج. ب. ريشار في مقاربته لعمال مالارمي عن الدوافع التي دفعت بشاعره إلى الارتباط بالنار المحرقة والاندفاع نحو الماء وباقات الورد... سعيا منه إلى بلوغ طرق خفية وانفعالية وحسية، تساعد على الإلمام بالجوهري والأصلي في العمل الأدبي.

ولا يكفي الرجوع إلى النص في تقديم دلالاته ورموزه، لأن القراءة لا تستطيع تبيان الدلالات المنقوشة والواضحة في الكتابة مادامت الإشارة التي نريد الوصول إليها في العمل المقروء غير مدركة بالقدر الكافي، فغالبا ما تكون مجهولة من طرف الكاتب نفسه.

من ثم، يفترض علم النفس الحديث القيام بحركات قصدية وإرادية، إلا أنها لا تكشف فينا عن معرفة واضحة، مما أدى إلى وضع حدود بين الحساسية والمعرفية، فالأولى ترتبط بكل العمليات الروحية، بينما ترتبط الثانية بافتراض ابتعاده عن الذات وضبطه للعمليات الانعكاسية. إلا أن تعقد العملية الإدراكية وتوزعها بين الحساسية والمعرفية فتح منافذ أمام النقد الموضوعاتي لاستكناه العمل الأدبي عبر نوع من الهرمنوتيكية.

ولا تخرج الموضوعاتية، بذلك، في مقاربة النص، عن التوجه للعمل الكتابي، في فصل واضح له عن كاتبه، كما تعزف عن الدلالات الطافية فوق السطح وتغوص في أعماق العمل بهدف امتلاك رؤيته الداخلية وجوهره المخبوء. إذ تكشف الموضوعاتية الكامنة في العمل الأدبي وتوضع في مجاميع وتصانيف، في علاقات مع بعضها البعض، لينظر في مدى تطابقها مع حياة الكاتب وتعبيرها خاصة عن لاوعيه.

لا غرابة أن وجدنا ج. ب. ريشار، يقرر "أن وظيفة الأدب الأساسية (...) هي أنه لحظة وعي بهذا النقد الأدبي، أي أنه أدب اليد الثانية، والذي هو نظرية اللعب بهذا الوعي وإمساكه، فليس الطموح هو الوصول إلى حقائق ثابتة، لأن كل إدراك إلا ويرتبط بوضعية وحالة الشخص المدرك. فالنقد مجبر على تقدير حالات التنوير، والبحث عن المنظورات المتعددة لأن الطرق التي يستعملها في الوصول إلى هدفه ليست من ابتكاره، مادام يستعيرها من العلوم الأخرى (التحليل النفسي/الأنتروبولوجيا/ البنيوية/ اللسانيات...) التي تكون الأسس المشتركة للمعرفة الحديثة للإنسان".

ويظهر أن ج. ب. ريشار يبحث في العمل الأدبي عن المعنى الضمني والساذج، مما يقابل جهد اللاوعي في إيجاد تفكير، فهو لا يصف مضمون فكرة، بل يحاول إيجاد مبدأ وحدتها والإلمام بفعل الإبداع ذاته، إذ يظهر العمل كبنية كاشفة عن شخصية مبدعها.

اقترح ج. ب. ريشار، إذن، عملية مزدوجة تعتمد على الاختزالية أولا، والتي تنطلق مع العمل، لتستهدف الحساسية العميقة للكاتب، وتعتمد ثانية على إعادة تكوين العمل، إذ أن ما يلفت اهتمام هذا الناقد هو نمط آخر من تجربة الحساسية التي تترجمها الميزات الخاصة للصور عند كل مبدع يعتبر كل كتابة دالة، سواء كانت رسالة، أو عملا مكتملا.

من ثم، تعد تجربة ج.ب.ريشار، تجربة طويلة وهامة، بل وهي أبرز ما يمثل النقد الموضوعاتي على الإطلاق، والتي تبلورت من خلال أعماله التالية :

8- (الأدب والحساسية) (1954).

8- (الشعر والأعماق)

8- (العالم التخيلي لمالارمي)(1961).

4- (دراسات عن الشعر المعاصر) (1964).

5- (من أجل قبر لاناتول).

6-(مشتهد شاتوبريان) (1967).

7- (مراسلات مالارمي).

8- (دراسات عن الرومانسية) (1970).

فرحلة ج. ب. ريشار، رحلة طويلة وتمرس خبير، وللأسف أن أيا من أعماله لم يُترجَم إلى العربية.

ويظهر أن الإرث الباشلاري واضح عند الناقد الذي لا ينكر فعاليته، إذ يعترف بأنه مدين إليه بالأساسي، لأن الأشياء التي لم تكن تدل قبله أخذت تدل معه، إذ أخذت مع باشلار معناها، لأنه سمح بإدخال المعنى إلى الأشياء.

لقد بحث ج. ب. ريشار العلاقة التي يقيمها فاعل ما مع موضوعاته الداخلية أو الخارجية، أي علاقة هذا الفاعل بالعالم. فالعلاقة الموجودة بين باشلار وج. ب. ريشار تقوم في كون الأول يدرس الصور المنعزلة، بينما يدرس الثاني الأعمال الشاعرية في مجموعها : من خلال معمارية عوالم التخيل وبنياته العديدة والمعقدة.

ويضيء البحث الموضوعاتي بنتائجه التي تسمح ببلوغ مفهوم البنية ذات الاستعمال التقني الدقيق، إذ يكشف في بنيات عمل فني ما عن الفضاءات الأساسية التي يتكشف عبرها المعنى في مباغتة لنقاط الحساسية والروابط القادرة على إدراك التشاكل والعبور من مستوى إلى آخر نحو الواقعي.

المراجع:

- ينظر: النقد الموضوعاتي بين الأصول والامتداد:
http://maqalats.blogspot.com/2016/03/blog-post_19.html

- ينظر: عبد الكريم حسن :الموضوعية البنيوية دراسة في شعر السياب، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، سنة 1983م؛
- ينظر: سعيد علوش :النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، الطبعة الأولى سنة 1989
- ينظر: عبد الكريم حسن: (نقد المنهج الموضوعي(، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، العددان: 44-45